

أضواء البيان

@ 158 @ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا { بين فيه أن ادعاء الأولاد ﷻ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً أمر عظيم جداً . وقد بين شدة عظمه بقوله تعالى : { وَقَالُوا أَتَتَّخِذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَزَفَّتْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُّهُ الْأَرْضُ وَتَذَرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا وَعَمِلُوا وَكُلَّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } فالمشركون قبحهم ﷻ جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات ﷻ ، ثم عبدوهم . فاقترفوا الجريمة العظمى في المقامات الثلاث ، والهمزة والفاء في نحو قوله : { أَفَأَصْفَاكُمْ } قد بينا حكمها بإيضاح في (سورة النحل) أيضاً . قوله تعالى : { قُلْ لِّوَلَدٍ كَانَ مَعَهِ ءَالِيَهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبَّيْتَ دَعْوَاهُ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } . قرأ جمهور القراء (كما تقولون) بتاء الخطاب . وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم (كما يقولون) بياء الغيبة . وفي معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير ، كلاهما حق ويشهد له قرآن . وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن الآية قد يكون فيها وجهان كلاهما حق ، وكلاهما يشهد له قرآن فنذكر الجميع لأنه كله حق . .

الأول من الوجهين المذكورين أن معنى الآية الكريمة : لو كان مع ﷻ آلهة أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا أي الآلهة المزعومة أي لطلبوا إلى ذي العرش أي إلى ﷻ سبيلاً أي إلى مغالبتة وإزالة ملكه ، لأنهم إذاً يكونون شركاءه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض . سبحانه ﷻ وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ! .

وهذا القول في معنى الآية هو الطاهر عندي ، وهو المتبادر من معنى الآية الكريمة . ومن الآيات الشاهدة لهذا المعنى قوله تعالى : { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّاهُ بَشَرٌ لِّدَّاهُ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ ءَالِي بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، وقوله : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا لِلَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ } وهذا المعنى في الآية مروى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وأبي علي الفارسي ، والنقاش ، وأبي منصور ، وغيره من المتكلمين . .

الوجه الثاني في معنى الآية الكريمة : أن المعنى { لَا بُدَّ غَوَاةٍ إِلَيَّ ذِي
الْعَرْشِ سَيِّئًا }